مؤسسة القديس أنطونيوس
مركز دراسات الآباء



شرح قانون الإيمان

نصوص الآباء
(جزء من ٣٩)

رسالة ٥٥
جزء من
رسائل القديس كيرلس

القديس
كيرلس الأسكندرى

من مقدمة الجزء الرابع
لرسائل القديس كيرلس الأسكندرى

مقدمة عن رسالة ٥٥
فى شرح قانون الإيمان

رسالة ٥٥ رسالة طويلة يشرح فيها القديس كيرلس قانون إيمان نيقيا والقسطنطينية بتفصيل ، وهى أطول رسائل القديس كيرلس على الإطلاق. وبسبب محتواها اللاهوتى الهام فى شرح قانون الإيمان رأينا أن ننشرها بمفردها منفصلة فى كتيب خاص بالإضافة إلى نشرها ضمن هذه الرسائل فى هذا الجزء الرابع . ونشير هنا أنه قد سبق لمركز دراسات الآباء أن نشر تعريبًا لنفس هذه الرسالة بعنوان " شرح قانون الإيمان للقديس كيرلس الكبير " سنة ١٩٨٤م وكان قد قام بتعريبها حينئذ وكتابة مقدمة لها دكتور جورج حبيب بباوى .

أما الترجمة الحالية لهذه الرسالة رقم ٥٥ فهى عن اللغة اليونانية مثلها مثل بقية الرسائل .

ملاحظات على الرسالة رقم ٥٥ :

أ ـ يؤكد القديس كيرلس فى بداية الرسالة على أهمية **إستقامة الإيمان وضرورة تلازمه مع أعمال الفضائل** . ويعلق على عبارة معلمنا يعقوب : " الإيمان بدون أعمال ميت " قائلاً : " هكذا نحن نقول إن العكس صحيح ، لذلك فليقترن الإيمان الذى بلا عيب وليشرق مع أمجاد الحياة المستقيمة " (أنظر فقرة ٢) .

ب ـ يذكر القديس كيرلس عندما يتحدث عن آباء مجمع نيقيا المسكونى الأول الذين حددوا إعتراف الإيمان المكرم والمسكونى ، **أن المسيح نفسه كان جالسًا معهم فى** المجمع (١) ... وأن المسيح كان بلا شك يرأس ذلك المجمع المقدس بطريقة غير منظورة (أنظر فقرة ٤،٥) .

ج ـ **يؤكد القديس كيرلس على أهمية** التسليم (التقليد) **من جهة الإيمان** ويقول : " إن الكرازة المقدسة التى سلمها إلينا بالروح القدس أولئك الذين كانوا من البدء معاينين وخدامًا للكلمة ، هؤلاء كان آباؤنا الممجدون جدًا يتبعون آثار خطواتهم بغيرة ، وهؤلاء الآباء هم الذين اجتمعوا فى نيقيا وحددوا إعتراف الإيمان المكرم **(فقرة٤)** . ويواصل قائلاً : " فالآباء القديسون الذين جاءوا بعد آباء نيقيا وكان رعاة للشعب وأنوار للكنائس ومعلمين مهرة جدًا للأسرار ، هؤلاء قد حفظوا بدون نقص الإيمان الموضوع والمحدد من آباء نيقيا " **(فقرة٦)** . ثم بعد ذلك يؤكد أهمية اتباع الآباء واستمرار التسليم الرسولى على الدوام قائلاً : " نحن نتبع من كل وجه إعترافات الآباء القديسين وتعاليمهم ، ونحن نثبت بإستقامة وبدون إنحراف ما قالوه ، وإن المجمع المقدس الذى اجتمع فى أفسس ... حينما أصدر قرارًا مقدسًا ودقيقًا ضد التعليم الشرير الذى لنسطوريوس وقد أدان معه المبتدعين الآخرين الذين قد يأتون بعده **(أنظر فقرة ٧)** .

وفى النهاية يصل إلى أن إدانة الهرطقات فى العصور اللاحقة ، هى أيضًا مبنية على إتباع الآباء والتسليم الرسولى . وهذا ما فعله مع البدعة

---

(١) أنظر السنكسار القبطى يوم ٩ هاتور : " اجتماع مجمع نيقية المسكونى " حيث يذكر [أن كثيرين من الذين إستضاءت عقولهم بنعمة الروح القدس كانوا يعدون المجتمعين فيجدونهم ٣١٩ نسقًا ، وإذا عدوا الكراسى المنظورة يجدونها ٣١٨ . وبذلك تم قول السيد المسيح " إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك اكون فى وسطهم " (مت١٨:٢٠)] .

النسطورية إذ اعتمد على مبدأ التسليم فى إدانتها . (أنظر فقرة ٧) .

د ـ فى شرحه لقانون الإيمان أبرز النقاط التالية :

أولاً : بالنسبة للآب ، يؤكد وحدانية الله بحسب تعليم الكنيسة المقدسة وهو يقصد بذلك هدم ضلالة تعدد الآلهة فيتحدث عن تفرد الله بالطبيعة وبالحق ويشير إلى أن لقب الآب يتضمن بالضرورة وجود الابن معه كما يتحدث عن الآب كخالق يختلف عن الخليقة .

ثانيًا : بالنسبة للابن " الرب يسوع المسيح " ، يتحدث عن :

١ ـ **ولادته من جوهر الآب** : فالمسيح مولود من جوهر الله الآب بطريقة تفوق الإدراك خلوًا من زمن ، وولادته مثل ولادة النور من النور ، وهو فى الآب بحسب وحدة الطبيعة وتطابقها (فقرات ١٤،١٥،١٦) .

٢ ـ **الابن الخالق** : فالله الآب لا يخلق أى شئ بأية طريقة سوى بالابن فى الروح (فقرة ١٧) .

٣ ـ **تجسد الابن وتأنسه** : فالابن نزل من سموه وأخذ جسدنا بنفس عاقلة ومع ذلك فقد بقى إلهًا ، ولم يتخل عن ما كان عليه ، بل ظل محتفظًا بملء ألوهيته فى إخلائه ليكون مثلنا ، وجعل ما يخص الجسد خاصًا به ، لأن الجسد لم يكن جسد شخص آخر غيره بل بالحرى جسده متحدًا به بطريقة تفوق الوصف والتعبير . وهو لما صار جسدًا لم يتغير إلى طبيعة الجسد بانتقال أو تحول أو تغيّر ، ولا تعرّض لاختلاط أو إمتزاج فى الجوهر . وهو نفسه الله صار إنسانًا ، الإله والإنسان معًا ، ولا ينقسم إلى إثنين ، كما يعتقد الذين يقولون إن الكلمة اتصل بإنسان وأعطاه نصيبًا فى رتبة البنوة . فالمسيح لم يصر إلهًا بعد أن كان إنسانًا ، بل إذ كان الكلمة هو الله ، فإنه صار إنسانًا (فقرة ٢١ـ٢٤) .

٤ - **آلام المسيح وموته** : فذاك الذى هو غير قابل للتألم كإله ، تألم فى جسده الخاص إنسانيًا ، وجعل الجسد القابل للموت خاصًا به (فقرة٣٣،٣٤). ويضيف إلى كلامه عن آلام المسيح وموته ، الإقرار برب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة (فقرة٣٥) .

٥ - **جسد المسيح والإفخارستيا** : يقول إننا نعتمد فى موت ذاك الذى تألم إنسانيًا فى جسده وظل حيًا على الدوام لأنه هو الحياة ... لذلك فجسد المسيح ودمه المقدسان هما يعطيان الحياة (فقرة ٣٨،٣٩) .

ثالثًا : بالنسبة للروح القدس : يشير إلى أن الروح القدس هو من نفس الجوهر مع الآب والابن ، وهو ينبثق من ينبوع الله الآب ويُمنح للخليقة بواسطة الابن (فقرة٤٠) .

✠✠✠

وقد تمت ترجمة رسائل هذا الجزء من اللغة اليونانية عن مجلد رقم 77 من مجموعة الآباء باليونانية (مينى Migne P.G.77) ، فيما عدا رسائل أرقام ٥١،٥٢،٦٠،٦١،٦٢،٦٤،٦٥،٦٦،٦٨،٧١،٧٣؛ التى لم تصلنا أصولها اليونانية ولكنها وجدت باللغة اللاتينية وقد وجدناها مترجمة إلى الإنجليزية فى كتاب :

The Fathers of The Church Vol. 77,
St. Cyril of Alexandria ,
Translated by John I. McEnerney,
The Catholic University of America Press
Washington D.C, 1987.

كما تمت مقابلة الرسائل الموجودة باليونانية بالترجمة الإنجليزية المذكورة أعلاه .

ملحوظة هامة :

تبلغ جملة رسائل القديس كيرلس المنشورة فى المجلد رقم ٧٧ من مجموعة مينى Migne P.G اليونانية ٨٨ رسالة .

ترجمنا منها ٧٥ رسالة فى الأجزاء الأربعة التى تكتمل بصدور هذا الجزء الرابع .

أما بقية الرسائل الثلاث عشر فباطلاعنا عليها وجدنا أنها لا تضيف جديدًا فى فكر القديس كيرلس اللاهوتى ، وما ورد فيها من إشارات لاهوتية متفرقة قد سبق أن استوفاها القديس كيرلس بشكل مفصل فى رسائله السابقة وفى الأجزاء المترجمة من شرح الإنجيل للقديس يوحنا . فضلاً عن أن بعض هذه الرسائل ليست للقديس كيرلس . فالرسالة رقم ٨٠ المنسوبة للقديس كيرلس هى للقديس باسيليوس الكبير ، وهناك الرسائل الثلاث ٨٦،٨٧،٨٨ منحولة على القديس وأثبت العلماء عدم صحة نسبتها إليه .

أما الرسالة ٨٣ فيعالج فيها القديس كيرلس التصورات الخاطئة عند رهبان أرسينوى (الفيوم) القائلين بأن اللاهوت له هيئة بشرية .

ولإلهنا الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس المجد والتسبيح والسجود الآن وإلى الأبد . آمين ،

١٥ مايو ١٩٩٧م
٧ بشنس ١٧١٣ش
تذكار نياحة القديس أثناسيوس الرسولى

المترجمان
د. موريس تاوضروس
د. نصحى عبدالشهيد

رسالة ٥٥

شرح قانون الإيمان

رسالة من كيرلس حول قانون الإيمان المقدس

١ ـ كيرلس يهدى تحياته فى الرب إلى المحبوبين والمشتاق إليهم جدا أنسطاسيوس ، ألكسندروس ، مارتينيانوس ، يوحنا ، باريغوريوس القس ، مكسيموس الشماس ، وإلى آباء الرهبان الأرثوذكس الباقين ، وإلى الذين يعيشون معكم الحياة التوحدية المتأسسين فى إيمان الله .

مقدمة عن قانون إيمان مجمع نيقية (١) :

يمكننى الآن أن أمدحكم مدحًا ليس بقليل على حبكم للتعلّم وحب التعب الذى لمحبتكم ، وأعتبر أنه جدير بكل تقدير . فمن لا يبتهج كثيرًا بسبب شوقكم للدروس الإلهية وحب الإشتراك فى التعاليم المقدسة الكلية الإستقامة؟ هذا يساعدنا لنصل إلى حياة أبدية ومغبوطة ، فالغيرة فى هذه الأمور ليست بدون مكافأة .

+ **أهمية الإيمان الصحيح :**

٢ ـ لأن ربنا يسوع المسيح يقول ـ فى موضع ما ـ لله أبيه فى السماء : " هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته " (يو١٧:٣) . لأن الإيمان الصحيح والذى لا يُسخر به بسبب ما له من بهجة التلازم مع الأعمال الصالحة ، فهو يملؤنا بكل صلاح ويظهر أولئك الذين قد حصلوا على مجد متميز . وإن كان بهاء أعمالنا يبدو أنه لا يرتبط بالتعاليم الصحيحة والإيمان الذى بلا لوم ، فإنها

---

(١) العناوين الجانبية من وضع المترجمين .

(هذه الأعمال) لن تنفع نفس الإنسان بحسب رأيى . فكما أن " الإيمان بدون أعمال ميت " (يع ٢:٢٠) ، هكذا أيضًا نحن نقول إن العكس صحيح . لذلك فليقترن الإيمان الذى بلا عيب ويشرق مع أمجاد الحياة المستقيمة . بذلك نصير كاملين بحسب ناموس موسى الحكيم جدًا الذى يقول : " وتكون كاملاً أمام الرب " (تث١٨:١٣) .

٣ ـ وأولئك الذين بسبب الجهل قد قللوا من قيمة إمتلاك الإيمان المستقيم ممجدين حياتهم بسبب أعمال الفضائل ، يشبهون أناسًا ذوى ملامح حسنة فى وجوههم ولكن نظرة عيونهم مصابة بتشويه وحول .

وينطبق عليهم قول الله بصوت إرميا إلى أم اليهود وأعنى أورشليم : "لأن عينيكِ ليست مستقيمة وقلبكِ ليس صالحًا " (أنظر إر ٢٢:١٧) . لذلك فمن الضرورى قبل كل شئ آخر أن يكون لكم ذهن سليم فى داخلكم وأن تهتموا بالأسفار المقدسة التى تخاطبكم قائلة : " لتنظر عيناك بإستقامة " (أم٤:٢٥س) . فالنظر الصحيح للعيون الخفية الداخلية هو أن يكون قادرًا على النظر إلى جميع النواحى بوضوح ودقة ، بقدر ما هو ممكن فيما يختص بالكلمات التى تُقال عن الله . " لأننا ننظر فى مرآة فى لغز ونعرف بعض المعرفة " (أنظر ١كو١٣:١٢) ، ولكن الذى يكشف أعماق الظلام (أنظر أى١٢:٢٢) ، ويرسل نور الحق إلى أولئك الذين يرغبون فى أن يحصلوا على معرفة سليمة عنه . فمن الضرورى إذن أن ننطرح أمام الله قائلين : " أنر عينى لئلا أنام نوم الموت " (مز١٢:٤س) ، لأن الإبتعاد عن إستقامة التعاليم المقدسة ، من الواضح أنه لن يكون شيئًا آخر سوى أن ننام نوم الموت . ونحن نسقط مبتعدين عن هذه الإستقامة حينما لا نتبع الكتب الإلهية الموحى بها ، إما بسبب أفكار خاطئة غير ممدوحة أو بسبب

تعصبنا للبعض الذين لا يسلكون بإستقامة من جهة الإيمان. ونحن ننغلب بسبب أننا نتبعهم فى ميولهم الذهنية، وفوق كل شئ آخر فإننا نؤذى أنفسنا.

٤ ـ لذلك ينبغى أن نصدق أولئك الذين يهتمون بالإستقامة فى التفكير من جهة الكرازة المقدسة ، والتى سلمها إلينا بالروح القدس أولئك الذين كانوا من البدء معاينين وخدامًا للكلمة (أنظر لو١:٢) ، والذين كان آباؤنا الممجدون جدًا يتبعون آثار خطواتهم بغيرة ، هؤلاء (الآباء) الذين إجتمعوا فى نيقيا فى ذلك الوقت وحددوا إعتراف الإيمان المكرم والمسكونى ، والمسيح نفسه كان جالساً معهم فى المجمع لأنه يقول " حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون فى وسطهم " (مت١٨:٢٠) .

٥ ـ كيف يكون هناك شك فى أن المسيح كان يرأس ذلك المجمع المقدس العظيم بطريقة غير منظورة . فهناك قاعدة معينة ، وأساس لا يتزعزع ولا يهتز لكل الذين على وجه الأرض ، كان هذا الأساس يلقى به بعيدًا أو بالحرى يُقضى عليه ، وأعنى إعتراف الإيمان النقى والذى بلا لوم. وإذن فكيف لا يكون المسيح حاضرًا إن كان هو نفسه الأساس بحسب قول بولس الحكيم جدًا : " فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساسًا آخر غير الذى وضع الذى هو يسوع المسيح " (١كو٣:١١) .

٦ ـ لذلك فالآباء القديسون الذين جاءوا بعدهم (بعدآباء نيقية) ، وكانوا رعاة للشعب وأنوارًا للكنائس ومعلمين مهرة جدًا للأسرار ، هؤلاء قد حفظوا الإيمان الموضوع والمحدد منهم (من آباء نيقية) بدون نقص، ونحن لا نرى فى إعترافات وشروح الآباء ـ أى شئ مهما كان ـ محذوفًا أو مهملاً مما هو ضرورى لمنفعتنا ، لأنهم صاغوها من جهة الإيمان المستقيم والذى بلا غش لأجل دحض وهدم كل بدعة وكل ثرثرة غير مقدسة ،

ولأجل مساندة وتأمين أولئك الذين يسيرون بإستقامة من جهة الإيمان . هؤلاء قد أشرق عليهم المصباح الحامل للنور " وأنفجر النهار " (٢بط١ :١٩) ، وهو النعمة التى بواسطة المعمودية المقدسة .

دوافع شرح القانون :

٧ ـ ولأن وقاركم قد كتبتم أن البعض يحرفون كلمات قانون الإيمان إلى غير معناها ـ إما بسبب أنهم لا يفهمون معنى (قوة) الكلمات التى فيه ، فهمًا واضحًا أو لأنهم محمولون إلى تفكير مرفوض بميلهم نحو كتابات بعض الأشخاص ، لذلك فكرت أنه من الضرورى بالنسبة لى أيضًا أن أوجه كلماتى إليكم فى هذه الأمور وأفسر معنى قانون الإيمان وأوضح بإختصار الأفكار التى تأتى إلى ذهنى .

إتباع الآباء :

نحن نتبع من كل وجه إعترافات الآباء القديسين وتعاليمهم ونحن نُثَبِّت بإستقامة وبدون إنحراف ما قالوه . وإن المجمع المقدس الذى إجتمع فى أفسس بحسب مشيئة الله ، حينما أصدر قرارًا مقدسًا ودقيقًا ضد التعليم الشرير الذى لنسطوريوس ، فإنه أدان معه ووضع عقابًا معادلاً على ابتداعات الآخرين الباطلة (أنظر ١تى٦ :٢٠) الذين قد يأتون بعده ، أو ربما كانوا موجودين قبله ، وذلك لأن لهم نفس الأفكار التى له وتجاسروا أن يتكلموا أو يكتبوا عنها . وعلى ذلك حيث إن إنسانًا واحدًا قد أُدين مرة بسبب مثل هذه الإبتداعات الباطلة ، فهذه الإدانة ينبغى أن تصير ليس فقط ضد إنسان واحد بل ضد كل هرطقتهم أى الإفتراء الذى صاغوه ضد العقائد المقدسة التى للكنيسة بمناداتهم بإبنين ، مُقَسِّمين الذى لا ينقسم ، ومُسَجِّلين (على أنفسهم) أمام السماء والأرض ، تهمة عبادة الإنسان .

٨ ـ فجمهور الأرواح العلوية المقدس يسجد معنا للرب الواحد يسوع المسيح . ولكى لا يكون مجهولاً عند البعض معنى قانون الإيمان الذى ساد وكُرز به فى جميع كنائس الله المقدسة ، فإننى وضعت التعاليم ، أى بيانات الآباء القديسين ، فى التفاسير الموجودة هناك ، لكى يعرف أولئك الذين يقرأونها ما هى الطريقة الصحيحة لفهم عرض الآباء القديسين الذى هو القانون النقى للإيمان الصحيح . وأظن أن محبتكم أيضًا قرأتم الكتاب الذى كتبناه معًا عن هذه الأمور . فبعد أن أضع أمامكم الآن كما قلت القانون نفسه كلمة كلمة ، فإننى سأنتقل بمعونة الله إلى تفسير واضح لكل ما يحويه النص ، لأنى أعلم أن بطرس المجيد جدًا قد كتب : " مستعدين دائمًا لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم " (١بط٣:١٥) .

نص قانون الإيمان فى نيقية

٩ ـ [نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل ، خالق الكل ما يُرى وما لا يُرى] .

وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب أى من جوهره . إله من إله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، من نفس الجوهر الذى للآب ، الذى به خُلقت كل الأشياء التى فى السماء وعلى الأرض . الذى لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل ، وتجسد ، وتأنس ، وتألم ، وقام فى اليوم الثالث ، وصعد إلى السموات ، وسيأتى لكى يدين الأحياء والأموات .

وبالروح القدس .

١٠ ـ أما الذين يقولون إنه " كان هناك وقت لم يكن فيه موجودًا ، وإنه لم يكن قبل أن يولد ، وإنه خُلق من العدم ، أو يزعمون أنه من أقنوم أو

جوهر آخر ، أو أن ابن الله متغير أو متحول " ، فهؤلاء تحرمهم الكنيسة الجامعة الرسولية] .

شرح قانون الإيمان

الإيمان بوحدانية الله :

١١ ـ قال الآباء إنهم يؤمنون بإله واحد ، لأنهم كما لو كانوا يهدمون آراء اليونانيين (٢) من أساساتها : " وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء . وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات " (رو ١:٢٢،٢٣) . " وعبدوا المخلوق دون الخالق " (رو ١:٢٥) . وصاروا عبيدًا لأركان العالم ظانين أنها آلهة كثيرة بلا عدد . لذلك فلكى يهدموا ضلالة تعدد الآلهة قال الآباء بإله واحد تابعين الكتب المقدسة من كل جهة ومظهرين جمال الحق لكل إنسان يُسمى تحت الشمس . وهذا ما فعله موسى الحكيم جدًا أيضًا قائلاً بكل وضوح " إسمع يا إسرائيل الرب إلهك رب واحد " (تث٦:٤) . وأيضًا خالق الكل وربهم يقول فى موضع آخر " لا يكون لك آلهة أخرى أمامى " (خر٢٠:٣) . وأيضاً يتكلم بصوت الأنبياء القديسين : " أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى " (إش٤٤:٦) . لذلك فالآباء الممجدون جدًا فعلوا أمرًا ممتازًا إذ وضعوا قاعدة للإيمان بضرورة أن نفكر ونقول إن الله واحد متفرد بالطبيعة وبالحق ، ومن ثم أعلنوا أنهم يؤمنون بإله واحد .

الله الآب :

١٢ ـ وأيضًا لقبوه بالآب ضابط الكل لكى بذكرهم الآب يظهرون الابن معه الذى به هو أب (وهو أى الابن) قائم معه وكائن معه دائمًا . لأن الآب

(٢) يقصد الأمميين أو الوثنيين .

لم يصر أبًا فى زمن ، بل كان دائمًا ما كانه أى أبًا . وهو كائن دائمًا فوق كل ما هو مخلوق وهو فى أعلى الأعالى . ولأنه يضبط ويسود ربًا على الكل فهذا يجعل له مجدًا لامعًا لا يُقارن .

الله خالق :

١٣ ـ وأيضًا يؤكد الآباء أنه خلق كل الأشياء التى فى السموات والتى على الأرض وهكذا يكون اختلافه عن كل الخليقة أمرًا معروفًا . لأنه لا يمكن المقارنة بين الخالق والمخلوق ، ولا بين غير الحادث والحادث(٢) ، ولا بين الطبيعة الخاضعة لنير العبودية والطبيعة المزدانة بكرامات السيادة والمالكة لمجد إلهى لا يوصف وأعلى من مجد العالم .

يسوع المسيح الابن ، إله من إله :

١٤ ـ ولكن عندما تكلموا عن الابن ، ولكى لا يظهر أنهم ينسبون إليه اسمًا مشتركًا مثل الاسم الذى يمكن أن يُنسب إلينا نحن أنفسنا ـ لأننا نحن ندعى أيضًا أبناء (غلا٤:٦) ـ فبكل فطنة وصفوه بتلك الأسماء التى بواسطتها يمكن أن يُدرك لمعان المجد الطبيعى الذى فيه ، والذى هو أعلا من الخليقة . لأنهم قالوا إنه " مولود غير مخلوق " مدركين أنه من جهة الجوهر لا يُصنّف مع المخلوقات ، بل بالحرى أكدوا بيقين أنه مولود من جوهر الله الآب خلوًا من زمن وبطريقة تفوق الإدراك لأنه " فى البدء كان الكلمة " (يو ١:١) .

ثم حينما يذكرون حقيقة الولادة بطريقة جيدة جدًا (لنشرح هذه الحقيقة على مستوى إنسانى لأجل المنفعة) ، فإنهم يقولون إن الله الابن مولود من الله . لأنه حيثما تكون ولادة حقيقية فيلزم من كل جهة تبعًا لذلك ، أن نفكر

(٢) أى بين الذى ليس له بداية والذى له بداية .

وأن نقول إن المولود ليس من جوهر آخر غير جوهر الوالد بل هو من نفس جوهر الذى ولده لأنه يناسب ويلائم منطقيًا كونه من هذا الجوهر .

١٥ ـ فغير الجسدانى لا يلد بحسب الجسد بل بالحرى بهذه الطريقة، أعنى مثل (ولادة) النور من النور ، حتى أن النور الذى أشع يُعرف أنه فى النور الذى أومض، وأنه منه بحسب الصدور الذى لا يُنطق به ولا يُعبّر عنه وأنه فيه بحسب وحدة الطبيعة وتطابقها. وهكذا نحن نقول: إن الابن فى الآب، والآب فى الابن. فالابن يرسم فى طبيعته الخاصة ومجده، ذلك الذى ولده. وقد قال بوضوح لواحد من تلاميذه القديسين وهو فيلبس "ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىّ. الذى رآنى فقد رأى الآب" (يو ١٤:٩،١٠). وقال أيضًا "أنا والآب واحد"(يو ١٠:٣٠). وتبعًا لذلك فهو من نفس الجوهر مع الآب. وهكذا أيضًا فإننا نؤمن أنه إله حق وُلد من إله حق.

١٦ ـ وإننا سنجد أن اسم الولادة يُطلق أيضًا على المخلوقات وأعنى ما قاله الله عن الذين من دم إسرائيل: "ولدتُ بنين ونشأتهم .." (إش ١:٢س). إلاّ أن الخليقة تكتسب هذه الدعوة فى نظام النعمة. أما فى حالة الذى هو ابنه بالطبيعة فإن هذا الاسم (الولادة) لا يُستعمل على سبيل المجاز ، بل هو حقيقى من كل جهة . وبسبب هذا فهو وحده بين الكل الذى قال "أنا هو الحق" (يو ١٤:٦) . وهكذا فإن كل أحد يستعمل اسم الولادة والبنوة عنه فإنه لا يتكلم بالكذب مُطلقًا لأن هذا هو الحق . وتبعًا لذلك فكل معلمى أسرار الإيمان القديسين يحمون نفوسنا بكلامهم فى كل مكان عن الآب والابن وعن الولادة ، وبقولهم إله حق من إله حق ، وإن النور ينبعث من النور حتى أن الولادة تكون غير جسمانية وبسيطة وتُفهم على أنها منه وفيه، وأن

كلاً منهما موجود بشخصه الخاص. لأن الآب هو آب وليس ابنًا والابن هو المولود وليس هو آبًا. وكل منهما يكون ما كان عليه (٣) ، ولهما فى وحدتهما نفس الطبيعة .

الابن خالق :

١٧ - ولكنهم بعد أن أكدوا أن الآب هو خالق كل الأشياء، ما يُرى وما لايُرى، فإنهم قالوا إن كل الأشياء قد خلقت بالابن، لا بسبب أنهم نسبوا للابن نصيبًا أقل من المجد، حاشا. لأنه كيف يمكن أن يُرى ما هو أقل أو أكثر فى وحدة الجوهر؟ ولكنهم يقولون إن الله الآب بطبيعته لا يخلق أو يدعو أى شئ إلى الوجود بأى طريقة أخرى سوى بالابن فى الروح أى بقوته الذاتيه وحكمته لأنه مكتوب "بكلمة الرب تأسست السموات وبنسمة فيه كل جندها"(مز ٣٢:٦س). ويوحنا الحكيم جدًا بتأكيده بالقول "فى البدء كان الكلمة والكلمة كان نحو الله وكان الكلمة الله"(يو ١:١)، يضيف بالضرورة " كل شئ به صار وبغيره لم يصر شئ مما صار" (يو ١:٣) .

التجسد والتأنس :

١٨ - وتبعًا لذلك فبعد أن أثبت الآباء أن الابن من نفس الجوهر مع الآب ومساوٍ له فى المجد وفى العمل ، كان من المفيد أن يذكّرونا بتأنسه. وأعلنوا سر التدبير بالجسد محدّدين بصواب تام أن تقليد (تسليم) الإيمان سيكون بسبب هذا كاملاً وكافيًا فى ذاته . فليس كافيًا للذين يؤمنون به أن يوقنوا ويفكروا أن الإله وُلد من الله الآب وهو من نفس الجوهر معه ورسم أقنومه (عب١:٣). بل كان من الضرورى أن يعرفوا بالإضافة إلى ذلك أنه تنازل مخليًا نفسه من أجل خلاص الكل وحياتهم ، وأخذ صورة

(٣) أى الآب آب والابن ابن .

عبد وجاء إنسانًا مولودًا من إمرأة " (غلا٤:٤) بحسب الجسد .

١٩ ـ وبسبب هذا قالوا ، " الذى لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس " . لاحظوا كيف تصير هذه العبارة بنظام وترتيب مناسب جدًا . وقد قالوا إنه نزل لكى نعرف بهذا أن الرب هو فوق الكل بالطبيعة وبالمجد ، وأيضاً نزل من أجلنا ، وأنا أعنى أنه كانت له الرغبة أن يأتى إلى مشابهتنا ويضئ على العالم بالجسد لأنه مكتوب فى سفر المزامير "سيأتى الله إلهنا ظاهرًا ولن يصمت " (مز٤٩:٣س) .

٢٠ ـ ولكن يمكن لمن يريد أن يفسر نزوله بصورة أخرى ، أى كنزول من السماء أو من فوق أو من أبيه ، فمن عادة الكتب المقدسة أن توضح ما يعلو على أفكارنا بكلمات مناسبة لنا ، ولذلك قال الرب حينما كان يتحدث مع التلاميذ القديسين : " خرجت من الآب وأتيت وأيضًا أترك العالم وأذهب إلى الآب " (يو١٦:٢٨) ، وأيضًا " أنتم من أسفل. أما أنا فمن فوق" (يو٨:٢٣) . وبالإضافة إلى ذلك " خرجت من الآب وأتيت " (يو٨:٤٢) . ويوحنا الموحى إليه من الله يكتب " الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع " (يو٣:٣١) . ورغم أنه كائن فى أعلا الأعالى وهو بحسب الجوهر فوق الكل مع أبيه إذ أنه متوج معه بوحدة الطبيعة ، فهو " لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه أخذًا صورة عبد صائرًا فى شبه الناس ، وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه " (فى٢:٦ـ٨) .

٢١ ـ لأن الكلمة الذى هو الله أخذ جسدنا ومع ذلك فقد بقى إلهًا ولهذا السبب يقول بولس المقدس جدًا أنه **صار فى شبه الناس ووُجد فى الهيئة كإنسان** ، لأنه كان الله ـ كما قلت ـ فى شكلنا البشرى مماثلاً لنا ، ولم يأخذ جسدًا بلا نفس كما ظن بعض الهراطقة بل بالحرى جدًا تحييه نفس عاقلة .

لذلك قال الآباء إن الكلمة الذى خرج من جوهر الآب ، الابن الوحيد الجنس، الإله الحق من الإله الحق ، النور من النور ، الذى به خُلقت كل الأشياء ، نزل وتجسد وتأنس ، أى أنه احتمل الولادة بحسب الجسد من إمرأة وجاء فى شكلنا ، وهذا هو معنى أنه تأنس .

٢٢ ـ لذلك يوجد رب واحد يسوع المسيح هو بذاته الكلمة الوحيد الجنس للآب ، الذى صار إنسانًا وهو لم يَتَخلّ عن ما كان عليه لأنه بقَى إلهًا فى بشريته ، والسيد فى صورة عبد ، محتفظًا بملء ألوهيته فى إخلائه ليكون مثلنا . وهو رب القوة فى ضعف الجسد ، وفى قياس (قامة) بشريته كان يملك ما هو فوق كل الخليقة خاصًا به . لأن ما كان عليه قبل الجسد كان خاصاً به ولا يمكن أن يُفقد ، لأنه كان إلهًا ، وهو الابن الحقيقى ، والوحيد الجنس ، والنور ، والحياة ، والقوة . أما ما لم يكن عليه فإنه يُرى أنه كان قد أخذه مضافًا من أجل التدبير (التجسد) ، لأنه جعل ما يخص الجسد خاصًا به ، لأن الجسد لم يكن جسد شخص آخر غيره بل بالحرى جسده متحدًا به بطريقة تفوق الوصف والتعبير . ولذلك يقول يوحنا الحكيم: " الكلمة صارجسدًا " (يو ١٤:١) . وهو صار جسدًا لا لأنه تغير إلى طبيعة الجسد بإنتقال أو تحول أو تغير ، ولا لأنه تعرض لاختلاط أو امتزاج فى الجواهر كما يثرثر بعض الناس ، لأن هذا مستحيل ، إذ هو بالطبيعة غير متغير ولا متحول كما قلت ، بل بالحرى أخذ جسدًا تحييه نفسٌ عاقلةٌ من جسدٍ عذراوى غير دنس ، وجعله جسده الخاص .

٢٣ ـ ولكنه من عادة الكتاب الموحى به أن يشير إلى الإنسان كله بكلمة جسد " فقط لأنه يقول " سأسكب من روحى على كل جسد "(يؤ ٢٨:٢س). فإن الله لم يُعط وعدًا بأنه سيرسل روحه على جسد بدون نفس عاقلة

تحييه، بل بالحرى إلى الإنسان المركب من نفس وجسد . لذلك صار الكلمة إنسانًا دون أن يكف عن أن يكون ما كان عليهْ ، ولكنه بقى هو الكلمة حتى حينما ظهر فى شكلنا .

٢٤ ـ فالمسيح لم يُعرف أنه إنسان أولاً وبعد ذلك تقدم ليصير إلهًا ، بل إن الكلمة ، إذ هو الله ، صار إنسانًا ، لكى فى نفس الكيان يُعرف هو نفسه الإله والإنسان معًا . إلاّ أن أولئك الذين يقسمونه إلى ابنين ويجسرون أن يقولوا إن الله الكلمة اتصل بالإنسان الذى من نسل داود وأعطاه نصيبًا فى استحقاق وفى كرامة وفى رتبة البنوة ، وأعده ليحتمل الصليب ، وليموت ، ويقوم ثانية ، ويصعد إلى السماء ، ويجلس عن يمين الآب ، لكى يُعبد من كل الخليقة ، وينال الكرامات بواسطة إرتباطه بالله . هؤلاء أولاً يكرزون بابنين ، وثانيًا بجهل يقلبون معنى السر . لأنه ، كما قلت ، إن المسيح لم يصر إلهًا من إنسان بل إذ كان الكلمة هو الله فإنه صار جسدًا أى إنسانًا .

٢٥ ـ وقيل عنه إنه اخلى نفسه ، حيث إنه قبل الإخلاء كان له الملء بطبيعته الخاصة ، كما هو معروف أنه إله . فهو لم يرتفع إلى الملء كواحد من الخليقة التى كانت فارغة بل بالحرى وضع نفسه من الأعالى الإلهية ومن المجد الذى لا يُنطق به ، وهو لم يكن إنسانًا متواضعًا ثم رُفع بتمجيده. بل هو الحر أخذ صورة عبد ، فهو لم يكن عبدًا إرتفع إلى مجد الحرية . وهو الذى إذ كان فى صورة الآب ومساويًا له صار فى شبه الناس . ولم يكن إنسانًا إغتنى باشتراكه فى مشابهة الله . فلماذا إذن يقلبون كلام التدبير ويزيفون الحقيقة ويحاربون جميع الكتب الموحى بها التى تعترف أنه هو الله ، وبعد أن صار الابن إنسانًا تسميه فى كل موضع ، الابن الوحيد ؟

٢٦ ـ ولذلك كتب موسى فى سفر التكوين ، أن يعقوب الإلهى أرسل أولاده عبر مخاضة (يبوق) وبقى هو وحده وصارعه إنسان حتى مطلع الفجر . ودعا يعقوب اسم ذلك المكان "مرأى الله" لأنه قال رأيت الله وجهًا لوجه ونجّيت نفسى "" وأشرقت له الشمس إذ عبر "مرأى الله" وكان يعرج من فخذه" (تك٣٢: ٣١ـ٣٢). فبواسطة البطريرك (يعقوب) سبق الله فأخبر أن كلمته الوحيد الجنس سوف يصير إنسانًا فى الوقت المعين وأن إسرائيل سوف يقاومه ، ولن يتصرف الإسرائيليون بإستقامة من جهته ولكنه كما لو سيكون أعرجًا كما يقول الله فى نغم المزمور : "الأبناء الغرباء كذبوا علىّ . الأبناء الغرباء قد شاخوا وخرجوا من طرقهم يعرجون" (مز١٧: ٤٥ـ٤٦س) . وأظن أن هذا هو معنى أن يعقوب كان يعرج من فخذه . ولكن لاحظوا هذا : فرغم أن إنسانًا كان يصارع معه ، فقد قال إنه رأى الله وجهًا لوجه ودعا (ما رآه) "مرأى الله" .

٢٧ ـ لأن الابن بقى (كما هو) كلمة الله رغم أنه صار إنسانًا ، لكونه فى هيئة الآب أعنى بحسب صورته العقلية ، ولكونه (أيضًا) غير قابل للتغيّر على الإطلاق . ولذلك قال لفيلبس مُظهرًا نفسه أنه "رسم أقنوم" الآب (أنظر عب ١: ٣) وهو فى الجسد (بقوله) : "من رآنى فقد رأى الآب" (يو١٤: ٩) . ولكن حينما شُفى الرجل الأعمى منذ ولادته ، ولما وجده قال له " أتؤمن بابن الله " فأجاب وقال " من هو ياسيد لأومن به ؟ فقال له يسوع " قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو " (يو٩: ٣٥ـ٣٨) . فالرجل الأعمى لم يره غير محجوب أى بدون الجسد بل بالحرى فى الهيئة مثلنا . وآمن بذلك الذى رآه لا كابن متصل بابن آخر بل (آمن) بمن هو حقًا

بالطبيعة ليس بدون جسد ، وهو الذى أشرق بنوره (للناس) الذين على الأرض .

ويقول موسى الموحى إليه من الله فى كلمات البركة " أعطوا للاوى إعلانه (تميمه) (٤) وللرجل القديس حقيقته (أوريمه)(٤) الذى جربوه فى التجربة (مسة)(٥) وخاصموه على ماء الإسخاط (مريبة)(٦) . وقال لأبيه ولأمه " أنا لم أبصركما " ، ولم يعترف بإخوته " (أنظر تث ٣٣:٨،٩س) .

٢٨ ـ لأن إله الكل قد رتب ثوبًا حتى القدمين لهارون ، منسوجًا بدقة ، وكان هذا الثوب لرئاسة الكهنوت فقط وخاصًا بها . وعلى صدرة رئيس الكهنة عُلقت حجارة مُعينة عددها أثنا عشر حجرًا ، وفى وسطها وُضع حجران آخران هما : الإعلان (تميم) والحقيقة (أوريم) . وبواسطة لغز هذه الحجارة توجد إشارة واضحة إلى خورس الرسل القديسين كما لو كانوا فى دائرة حول عمانوئيل الذى هو " الإعلان " ، " والحقيقة " ، لأنه أعلن الحقيقة بأن أبطل عبادة الله من خلال الظلال والأمثلة وكيف يمكن أن يكون هناك شك أن كلمة الله الوحيد الجنس قد صار رئيس كهنتنا عندما صار إنسانًا ، لأن بولس الموحى له من الله كتب كما يلى : " لاحظوا رسول ورئيس كهنة إعترافنا ، يسوع ، حال كونه أمينًا للذى اقامه " (عب٣:١،٢) ، لأن كرامة الكهنوت ستُعرف بصواب أنها ملائمة لمقاييس بشريته ، وهى بالطبع ، من ناحية أقل من طبيعة كلمة الله ومجده ، ولكنها من ناحية أخرى تتفق مع تدبير الجسد ، لأن الأمور البشرية قد صارت خاصة به . وتبعًا لذلك يقول: " أعطوا للاوى ـ أى للكاهن ـ الإعلان والحقيقة " (أنظر تث٣٣:٨س) .

(٤) " تميم " كلمة عبرية تعنى دلالة أو إعلان . " أوريم " كلمة عبرية تعنى حقيقة .

(٥) "مسة" كلمة عبرية تعني تجربة . (٦) "مريبة" كلمة عبرية تعني إسخاط .

ولأية نوعية من لاوى - أى الكاهن ـ قال حينما ذكر بوضوح: "وللرجل القديس حقيقته"، لأن ربنا يسوع المسيح لم يفعل خطيئة؟ (أنظر ١بط٢:٢٢)، ولذلك يكتب بولس عنه: " لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات " (عب٧:٢٦) . لأنهم : " جربوه في التجربة وخاصموه على ماء الإسخاط (مريبه) " (أنظرتث٣٣:٨) .

٢٩ ـ يا للأمر العجيب ! فهو يقول إنه إنسان ولكنه يعلن مباشرة أن الذى أسخطه إسرائيل وجربه فى البرية على ماء الإسخاط ، هو هو الله . ويشهد المرنم قائلاً : " شق صخرة فى البرية ، وأعطاهم ليشربوا كأنه من لجج عظيمة وأخرج ماء من صخرة وأجرى مياهًا كالأنهار " (مز٧٧:١٥،١٦س) . وماذا بعد هذا ؟ يقول : " جربوه فى قلوبهم وأفتروا على الله قائلين: " هل يقدر أن يهيئ مائدة فى البرية ، لأنه ضرب صخرة فجرت المياه وفاضت الأودية ؟ ، هل يقدر أيضًا أن يعطى خبزًا أو يهيئ مائدة لشعبه ؟ " (مز٧٧:١٨ـ٢٠س) . لذلك تدرك كيف تبجحوا على الله الذى يصنع المعجزات وهو الذى يقول موسى عنه إنه إنسان . وقد أدرك بولس الموحى إليه ذلك أيضًا فكتب: "وكانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح " (١كو١٠:٤) .

لذلك فالإنسان الذى خاصموه ، كان هو الذى جُرب من الذين هم من إسرائيل ولم يكن قد تجسد بعد . لأن موسى قد أكد بدليل آخر أن الذى كان قبل أن " يصير جسدًا " لم يكن ابنًا آخر ، والذى من نسل داود لم يكن ابنًا آخر غيره كما يتجاسر البعض أن يقولوا . ولكنه هو واحد وهو نفسه

الكلمة الذى كان عاريًا (من الجسد) قبل تجسده . وهو الذى تجسد وتأنس بالميلاد من العذراء القديسة كما كتب الآباء القديسون المُلهمون من الله .

٣٠ ـ لأنه كما لو أن واحدًا كان يسأل ويرغب أن يعرف عن أى إنسان كان يتكلم ، والذى يقول عنه إنه قد جربه وخاصمه أولئك الذين من إسرائيل ، وهو بمد يده يشير إلى يسوع ويقول : " الذى قال لأبيه ولأمه أنا لم أبصركما ، ولم يعترف بإخوته " (تث٣٣:٩) . وهذا يذكرنا بما كتبه أحد البشيرين القديسين حينما كان المسيح يعلم ويرشد بعض الناس وجاءت أمه وإخوته وحينئذ ركض إليه واحد من التلاميذ وقال " أمك وإخوتك واقفون خارجًا ويريدون أن يروك " (لو٨:٢٠) . وهو بعد أن مد يده وأشار إلى تلاميذه قال : " أمى وإخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها " (لو٨:٢١) ، ، " لأن كل من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى " (مت١٢:٥٠) . وهذا ما أعتقد أنه هو نفس ما قاله موسى : " الذى قال لأبيه ولأمه أنا لم أبصركما ، ولم يعترف بإخوته " . ودانيال الحكيم جدًا يقول أيضًا إنه رأى كلمة الله الوحيد الجنس فى هيئتنا لأنه يقول إنه قد رأى القديم الأيام جالسًا على عرش وربوات ربوات وقوف قدامه وألوف ألوف يخدمونه . وبعد عدة عبارات أضاف دانيال : " كنت أرى فى رؤيا الليل مثل ابن إنسان آتيًا على سحب السماء ، وحينما جاء إلى القديم الأيام وقربوه قدامه أُعطِىَ كرامة وملكوتًا وسوف تتعبد له كل الأجناس والألسنة " (دا٧:١٣،١٤س) .

أنظروا هنا عمانوئيل يرى بوضوح وجلاء صاعدًا إلى الله الآب فى السموات . لأن " سحابة أخذته " (أع١:٩) ذلك الذى يقول عنه إنه ليس مجرد إنسان بل " مثل ابن إنسان " . لأن الكلمة الذى صار فى هيئتنا كان

هو اللـه . وبهذا الفهم يقول بولس الحكيم إنه " صار فى شبه الناس " (فى٢:٧) وإنه " وُجد فى الهيئة كإنسان " (فى٢:٨) وإنـه ظهر للذين على الأرض " فى شبه جسد الخطية " (رو٨:٣) .

٣١ ـ ولكن لو أنه كان إنساناً وقد كُرّمَ كإله بسبب إتصالـه بالله ، لكان النبى دانيال قد قال إنه رأى واحدًا آتيًا على السحب كما لو كان إلهًا أو كما لو كان ابن الله . ولكنه لم يقل هذا بـل بـالحرى قـال " مثل ابن إنسان " . لذلك عرف أن الإبن هو إله وقد تأنس ، أى أنه صار " فى شبه الناس " كما قال بولس . ورغم أنه ظهر فى الجسد ، " جاء إلى القديم الأيام " (أنظردا٧:١٣،١٤) ، أى إنه صعد إلى عرش أبيه الأزلى " وأعطى الكرامة والملكوت ، وسوف تتعبد له كل الأجناس والألسنة " . وهذا هو نفس ما قاله هو : " أيها الآب مجدنى بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم " (يو١٧:٥) . وكون كلمة الله المتجسد يجلس معه (مع اللـه) وإنه مساوٍ لله الآب فى المجد ، ورغم أنه (جاء) بالجسد ، فهو ابن واحد حتى حينما صار إنساناً ، هذا ما يوضحه بولس الحكيم جدًا حينما يكتب : " لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش العظمة فى الأعالى " (عب٨:١) . وفى الحقيقة ، فإن ربنا يسوع المسيح نفسه ، حينما سأله اليهود إن كان حقًا هو نفسه المسيح ، أجاب : " إن قلت لكم لا تصدقون وإن سألت لا تجيبوننى .. ومنذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله " (لو٢٢:٦٧ـ٦٩) . وهكذا أيضًا فإن خورس الأنبياء القديسين رأى الابن متأنسًا على عرش الألوهية .

٣٢ ـ هلم بنا لنرى أيضًا كارزى العهد الجديد ، الذين هم معلمو أسرار الإيمان لكل الذين تحت الشمس ، والذين قال المسيح نفسه لهم : " لستم أنتم

المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم " (مت١٠: ٢٠) . ولذلك سوف نجد المعمدان الموحى له يقول : " يأتى بعدى رجل صار قدامى لأنه كان قبلى " (يو١: ٣٠) ولكن كيف يكون هو قبل المعمدان وهو قد جاء بعده ؟ ألا يكون واضحًا للجميع أن المسيح كان بعد يوحنا بحسب زمن الجسد ؟ لذلك، فبماذا يُجاب على هذه الأسئلة ؟ لقد أعطانا المخلص الجواب عن ما نسأل عنه، لأنه قال حينما كان يتكلم إلى اليهود " الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن " (يو٨: ٥٨) . لأنه كان قبل ابراهيم من جهة ألوهيته ولكنه عُرِفَ بعد ابراهيم حينما ظهر كإنسان . وحيث إن الله الأب اعلن بوضوح قائلاً : " مجدى سوف لا أعطيه لآخر " (إش٤٢: ٨) ، لأنه " ليس إله آخر غيره " (إش٤٥: ٥) لذلك قال لنا المسيح : " عندما يأتى ابن الإنسان بمجد أبيه مع الملائكة القديسين " (مر٨: ٣٨) . وحيث إننا ننتظر نزول ابن الإنسان من السماء ، كما كتب أيضًا بولس الحكيم جدًا : "لأنه قد ظهرت نعمة الله المُخلصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد إلهنا ومخلصنا العظيم يسوع المسيح" (تى٢: ١١-١٣) . وفى موضع يقول حينما يتحدث عن أولئك الذين من دم إسرائيل : " الذين لهم المواعيد والإشتراع والعهد ، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد " (رو٩: ٥) .

٣٣ ـ وتبعًا لذلك ، إذ نقتفى آثار إعتراف الآباء بدون إنحراف، نقول إن كلمة الله الآب نفسه الذى هو الابن الوحيد المولود منه ، تجسد ، وتأنس ، وتألم ، ومات ، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث . وكلمة الله يُعترف به أنه غير قابل للألم من جهة طبيعته الخاصة . ولا أحد فقد صوابه فيظن

أن الطبيعة التى هى فوق كل الأشياء يمكن أن تكون قابلة للألم . ولكنه بسبب أنه صار إنسانًا وجعل الجسد الذى من العذراء القديسة خاصًا به ، لهذا السبب فنحن نؤكد بثبات تابعين كلمات التدبير ان ذاك الذى هو غير قابل للتألم كإله ، تألم فى جسده الخاص إنسانيًا . وإذ هو الله الذى صار إنسانًا، فهو لم يكف مطلقًا عن أن يكون إلهًا. وإن كان قد صار خليقة فهو أيضًا قد ظل فوق الخليقة . وإن كان هو واضع الناموس فقد صار تحت الناموس وظل مع ذلك واضع الناموس . وإن كان هو السيد حسب إلوهيته فقد لبس " صورة عبد " (فى ٢:٧) ومع ذلك فلا يزال له مقام السيد الذى لا يقبل الفقدان. وإن كان هو الابن الوحيد وقد صار " البكر بين إخوة كثيرين " (رو٨: ٣٠) فهو يظل مع ذلك الابن الوحيد . فما هى الغرابة إن كان رغم تألمه فى الجسد بحسب إنسانيته فهو يُعرف أنه غير متألم بحسب ألوهيته ؟ وهذا ما يقوله بولس الحكيم جدًا، إن الكلمة نفسه الذى هو "فى صورة الله" (فى٢:٦). ومساوٍ لله الآب، " أطاع حتى الموت موت الصليب" (فى٢:٨).

٣٤ ـ وفى رسالة أخرى من رسائله يقول عنه : " الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة ، فإن فيه خُلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى ، سواء كان عروشًا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين ، الكل به وله قد خُلق ، الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل " (كو١:١٥-١٧) . ويقول إنه رأس الكنيسة (كو١:١٨) ، وإنه " صار بداءة الراقدين " (١كو١٥:٢٠) ، " والبكر من الأموات " (كو١:١٨) . ومع ذلك فكلمة الله الآب هو الحياة ومعطى الحياة ، حيث إنه وُلِدَ من الحياة أى من ذلك الذى ولده . فكيف إذًا صار البكر من الأموات وبداءة الراقدين ؟ فهو جعل الجسد القابل للموت خاصًا به . وكما يقول بولس الحكيم جدًا فإنه

"ذاق الموت لأجل كل واحد " (عب ٢:٩) فى جسده الذى كان قادرًا أن يتألم دون أن يكف هو عن أن يكون **الحياة** . لذلك حتى إن كان يُقال إنه تألم فى جسده فهو لم يقبل الآلام فى طبيعة ألوهيته ، ولكن كما قلت على التو ؛ قد قبلها فى جسده الخاص المتقبل للألم . وهكذا فإن إشعياء النبى المبارك ، إذ عرف الله المتأنس المتألم بالجسد ، يقول عنه " كخروف سيق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها . فى تواضعه رُفعت عنه الدينونة . من يخبر بجيله لأن حياته رُفعت من الأرض " (إش٥٣: ٧، ٨س) .

٣٥ ـ ولكن إن كان هو إنسانًا ما ، وقد أعتبر ابنًا على حدة متصلاً بالله ـ كما يدعى المدافعون عن العقائد المضادة للتقوى فكيف يكون من الصعب أن نجد إنسانًا يستطيع أن يخبر بجيله ؟ فقد ولد من نسل يسى وداود (إش ١١: ١) . ولكن من هو الذى يستطيع أن يخبر بميلاد كلمة الله أى كيفية ميلاده ؟ فإن " حياته رفعت من الأرض " ، أى وجوده ، لأنه قد بذل حياته وليس وجوده (٧) . فقد رُفع عاليًا وصار فوق جميع الذين على الأرض (أنظر أف٤: ٨-١٠) . لأن الكلام عن تلك الطبيعة الفائقة أمر يفوق الفهم وليس فى متناول عقول البشر .

وأضيف أيضًا هذه الكلمات لما سبق وقلته " ربٌ واحدٌ ، إيمانٌ واحدٌ ، معمودية واحدة " كما يقول بولس المقدس جدًا (أف٤: ٥) . لذلك إذ أن هناك رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة ، فمن هو الرب ومن هو ذاك الذى آمنا به واعتمدنا باسمه ؟ ولكن ربما يقول أحد إنه من المناسب تمامًا أن تتحقق الربوبية والإيمان الذى لنا، والمعمودية المخلِّصة؛ فى الكلمة الذى هو من الله الآب . ولهذا أوصى رسله القديسين قائلاً : " أذهبوا وتلمذوا

(٧) لعله يقصد أنه بذل حياته الجسدية بالموت وهذا لا يعنى إنتهاء وجوده .

جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت٢٨: ١٨، ١٩).

٣٦ ـ وبولس الموحى إليه يوضح مجد ربوبيته والإعتراف بالإيمان وقوة المعمودية المقدسة بقوله " لا تقل فى قلبك من يصعد إلى السماء أى ليحدر المسيح ، أو من يهبط إلى الهاوية ليُصعد المسيح من الأموات ، ولكن ماذا يقول الكتاب ؟ الكلمة قريبة منك ، فى فمك وفى قلبك .. لذلك إن اعترفت أن يسوع رب ، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الموت ، فسوف تخلص " (رو١٠: ٦-٩) .

٣٧ ـ ويكتب أيضًا ألستم تعلمون أننا كل من إعتمد ليسوع المسيح ، إعتمدنا لموته " (رو٦: ٣) . وها بولس يضع بوضوح ومهارة الإعتراف بربوبية وبالإيمان ونعمة المعمودية المقدسة نفسها فى ذاك الذى عانى الموت وقام من بين الأموات . إذن هل يا ترى نحن نؤمن بابنين ؟ هل ننصرف عن الكلمة الذى أشرق من الله الآب وننسب مجد الربوبية والإعتراف بالإيمان نفسه ومعموديتنا السماوية إلى ابن آخر مختلف عنه ، أى إلى الابن الذى تألم ؟ ولكن التفكير والكلام بهذه الطريقة أليس هو حماقة أكيدة بل اكثر من ذلك هو كفرٌ لا جدال فيه ؟

٣٨ ـ وإذًا ماذا نقول ؟ " رب واحد بالحق ، وإيمان واحد ، ومعمودية واحدة " (أف٤: ٥) . لأنه ابن ورب واحد ، وليس أن الكلمة اتخذ إنسانًا بحسب الاتصال وأعلن انه شريك لكراماته الخاصة ، ونقل إليه البنوة والربوبية ، كما يقول ويكتب بعض الذين يهذون . ولكن هو الكلمة الذى من الله ، النور الذى من النور ، الذى تأنس وتجسد . ونحن نعتمد فى موت ذاك الذى تألم إنسانيًا فى جسده الخاص ، ولكنه ظل غير متألم إلهيًا وحيًا على الدوام ، لأنه هو الحياة من حياة الله الآب . لذلك ، هُزِمَ الذى

تجاسر أن يهاجم جسد الحياة ، وهكذا أيضًا أبيد الفساد الذى فينا وضعف سلطان الموت نفسه ، ولذلك يقول المسيح : " الحق الحق أقول لكم ، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم " (يو٦:٥٣) .

الإفخارستيا تعطى الحياة :

٣٩ ـ لذلك فجسد المسيح ودمه المقدسان هما معطيان للحياة . وكما قلت فهذا الجسد ليس جسد إنسان ما يشترك فى الحياة بل بالحرى هو نفس جسد الحياة حسب الطبيعة . وبوضوح هو جسد الابن الوحيد .

إن خورس الآباء القديسين المحبين للمسيح يعتقدون معنا بهذه التعاليم كما يعتقد بها أيضًا ذلك الذى يزين الآن عرش كنيسة القسطنطينية المقدسة، أخونا المقدس جدًا والمتقى لله جدًا والشريك معنا الأسقف بروكلس . لأنه هو نفسه كتب أيضًا لأساقفة الشرق المحبين لله جدًا بهذه الكلمات الآتية : "والذى بلا شكل منظور تجسد بدون تغيير ، والذى هو بلا بداية وُلد حسب الجسد ، والذى هو كلى الكمال بالطبيعة ينمو فى السن (لو٢:٥٢) حسب الجسد ، والذى يعلو فوق الآلام يحتمل الآلام ، ويحتمل الإهانات ليس فى ذاك (٨) الذى كان عليه بل قبلَ الآلام الجسدية فى ذاك الذى صار إليه (٨). وتبعًا لذلك فالإيمان الردئ الذى لأولئك الذين يفكرون أو يكتبون أشياء مخالفة لهذا ، يتبرهن من كل جهة أنه إيمان مريض بما هو دنس وغير متوافق مع تعاليم الحق .

الروح القدس :

٤٠ ـ وبعد أن أنهى الآباء المثلثو الغبطة كلامهم عن المسيح ، فإنهم

---

(٨) يقصد أن المسيح احتمل الإهانات ليس فى لاهوته (الذى كان عليه) بل قبل الآلام فى جسده (الذى صار إليه) عندما تجسد .

ذكروا الروح القدس لأنهم قالوا إنهم يؤمنون به كما يؤمنون ـ بداهة ـ بالآب والابن . لأنه من نفس الجوهر معهما ، وهو ينسكب أى أنه ينبثق من ينبوع الله الآب ويُمنح للخليقة بواسطة الابن . لهذا نفخ فى الرسل القديسين قائلاً : " أقبلوا الروح القدس " (يو ٢٠:٢٢) . لذلك فالله الروح هو من الله وليس غريبًا عن الجوهر الذى هو أعلا من الكل ، بل هو من ذلك الجوهر وهو كائن فيه وهو خاص به .

٤١ ـ ولذلك فهذا هو إيمان الآباء القديسين القويم والثابت ، أى إعتراف الإيمان ولكن كما يقول بولس : " إله هذا الدهر أعمى أذهان غير المؤمنين لكى لا تضئ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح " (٢كو٤:٤) . وهكذا فالبعض بعد أن تركوا السير فى طريق الحق المستقيم ، اصطدموا بالصخور ، "لأنهم لا يفهمون ما يقولونه ، ولا ما يقرّرونه " (١تى١:٧) . لأنهم بعد أن ينسبوا مجد البنوة للكلمة المولود من الله الآب فقط ، يقولون إن ابنًا آخر الذى هو من نسل داود ويسى قد اتصل به وشارك فى البنوة وفى الكرامة اللائقة بالله وفى حلول الكلمة نفسه وأنه يأخذ منه كل شئ ، وأنه ليس له شئ خاص به إطلاقًا .

٤٢ ـ وأعتقد أن تلاميذ المخلص كتبوا بخصوص مثل هؤلاء هكذا : "دخل خلسة أناس قد كُتبوا منذ القديم لهذه الدينونة ، فجّار يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة وينكرون السيد الوحيد والرب يسوع المسيح " (يهوذا٤) . ولكن يسوع المسيح يجب أن يدعى بحق ، الكلمة الذى ظهر فى هيئة إنسان. إذن دع أولئك الخصوم ، الذين بغباء كثير لا يتخلون عن التفكير والكلام بتعاليم نسطور وثيؤدور ، أن يجيبوا على من يسألونهم هذا السؤال: " هل ترفضون التعليم بأن الذى من العذراء القديسة هو إله وهو

الابن الحقيقى لله الآب لأنكم تنسبون الآلام له وحده ولا تعترفون به إنه كلمة الله لكى لا يقال أن الله قابل للتألم ؟ لأن هذا هو ما إكتشفوه بإدعائهم التدقيق وهذه هى فظاظة أفكارهم . لذلك فلا ينبغى لهم أن يدعوا كلمة الله الاب ـ على حدة ـ بالمسيح . لأنه كما ان الآلام هى غريبة عنه حينما يُنظر إليه بدون الجسد ، هكذا أيضاً المسحة هى أمر لا يليق به بل هى غريبة عنه لأن « الله مسح يسوع الناصرى بالروح القدس » (أع١٠: ٣٨) ، أما كلمة الله فهو كامل تماماً فى ذاته ولا يحتاج للمسحة بالروح القدس . وهكذا إنكِروا التدبير ، وحولوا الابن الوحيد بعيداً عن محبته للعالم ، ولا تدعونه بالمسيح ! ألم يكن امراً صغيراً بالنسبة له أن يصير فى القامة مثلنا . وتبعاً لذلك فحيث إن هذا أيضاً غير لائق به ، فلا تدعوا أحداً يعترف أنه صار إنساناً ، كى يقول لهم المسيح هم أيضاً « تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله » (مت٢٢: ٢٩) .

٤٣ ـ وتبعاً لذلك ، فلنهرب من إبتداعاتهم الهدامة أولئك الذين دبروا أن يفكروا هكذا ، لأننا نعتبرهم اعداء الحق . ودعونا بالحرى نتبع تعاليم الآباء القديسين وتسليم الرسل والإنجيليين القديسين . فالكلمة المتأنس نفسه قد تكلم فيهم ، الذى به ومعه لله الآب ، الكرامة والمجد والقوة مع الروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور . آمين .

كتابات الآباء التى صدرت

١ـ٢٩	: نصوص للآباء صدرت ونفدت .
٣٠	: أوريجينوس ـ عظات على سفر العدد .
٣١	: الروح القدس للقديس أثناسيوس .
٣٢	: ضد الآريوسيين المقالة الثالثة للقديس أثناسيوس .
٣٣	: شرح إنجيل يوحنا ـ الجزء الثانى ـ للقديس كيرلس الإسكندرى .
٣٤	: رسائل القديس كيرلس (الجزء الثالث ـ من ٣٢ : ٥٠) (نفد) .
٣٥	: تفسير إنجيل لوقا (الجزء الثالث) للقديس كيرلس الإسكندرى .
٣٦	: الأسرار للقديس أمبروسيوس مع سيرة حياته (طبعة ثانية لرقم ٢) .
٣٧	: رسائل القديس أنطونيوس من ١ ـ ٧ (طبعة ثانية منقحة لرقم ٩) .
٣٨	: عظات ثلاث عن ملكيصادق ويوحنا الإنجيلى ـ للقديس كيرلس الإسكندرى
٣٩	: رسائل القديس كيرلس (الجزء الرابع) من ٥١ ـ إلخ .
٤٠	: تفسير الرسالة الثانية إلى تيموثيوس ـ للقديس يوحنا ذهبى الفم .
٤١	: المقالات الثلاث ضد الآريوسيين ـ للقديس أثناسيوس .
٤٢	: شرح إنجيل يوحنا ـ الجزء الثالث ـ للقديس كيرلس الأسكندرى .
٤٣	: تفسير إنجيل لوقا (الجزء الرابع) ـ للقديس كيرلس الأسكندرى .